Journal Of the Iraqia University 63-1(31-10) October(2023)

ISSN(Print): 1813-4521 OnIine ISSN:2663-7502
Journal Of the Iraqia University
available online at: https://www.iasj.net/iasj/issue/2776

القرآن الكريم وأثره في النقد القديم

أ.م.د. ثاير فالح علي

كلية التربية الاساسية/ جامعة ديالى

The Holy Qur'an and its impact on ancient criticism

Asst Prof. Thaer Faleh Ali (Ph.D.)
Thierfaleh112233@gmail.com
College of Basic Education/University of Diyala

DOI 10.58564/MABDAA.62.2.2023.339

ملخص البحث:

يسعى البحث الحالي إلى بيان أثر القرآن الكريم في النقد العربي القديم. ولتحقيق هذا الهدف تم تسليط الضوء على أثر القرآن الكريم في اللغة العربية، وكذلك أثره في الشعر والشعراء. تم تسليط الضوء على النقد العربي في العصر الجاهلي وتأثير القرآن الكريم على النقد. خلص البحث إلى أن النقد الأدبي وجد في العصر الجاهلي ولكن على شكل ملاحظات يسيره متناسبا مع روح العصروملائما للشعر العربي نفسه فكلاهما يستند على الانفعال والتأثر. كما أن تأثير القرآن الكريم على النقد تمثل في أن الموقف الإيماني الأخلاقي للشاعر هو المنشود قبل كل شيء عند النبي الكريم (ﷺ) والميزان النقدي الذي يزن به شعر الشعراء هو ميزان الأخلاق والفضيلة كما جاءت في القران الكريم. لذا فقد كان النبي (ﷺ) يستنهض فضيلة الصدق في الشعر. **الكلمات المفتاحية: القرآن الكريم، النقد العربي القديم، الشعر الجاهلي، عصر صدر الإسلام.**

Abstract:

The current research seeks to explain the impact of the Holy Qur'an on ancient Arabic criticism. To achieve this goal, the impact of the Holy Qur'an on the Arabic language was highlighted, as well as its impact on poetry and poets. The spotlight was on Arab criticism in the pre-Islamic era and the influence of the Holy Qur'an on criticism. The research concluded that literary criticism existed in the pre-Islamic era, but in the form of simple observations, commensurate with the spirit of the times and suitable for Arabic poetry itself, as both are based on emotion and influence. The influence of the Holy Qur'an on criticism is represented in the fact that the moral faith position of the poet is what is sought above all by the Holy Prophet (peace be upon him), and the critical scale with which poets' poetry is weighed is the scale of morality and virtue as stated in the Holy Qur'an. Therefore, the Prophet (peace be upon him) used to encourage the virtue of honesty in poetry.

Keywords: The Holy Qur'an, ancient Arabic criticism, pre-Islamic poetry, the era of early Islam.

المقدمة:

لقد أنزل القران الكريم على النبي محمد (ﷺ) مشتملًا على أحكام الإسلام وتعاليمه وقيمه. إضافة إلى ذلك ففيه من جمال الأسلوب وسحر البيان ما يملك على الناس أفئدتهم ويستحوذ على عقولهم، فيقفون في حيرة أمام إعجازه . وكان أول نزول للقرآن الكريم في ليلة القدر من شهر رمضان المبارك ﴿بِلِسَانٍ عَرَبِيٍّ مُّبِينٍ ﴿١٩٥﴾﴾ [الشعراء:١٩٥]. وكانت البداية بخمس آيات من سورة القلم تحث على القراءة وترفع من شأن القلم كونه وسيلة الإتسان إلى التعلم والمعرفة.وقد جمع القرآن في صدر الإسلام ثلاث مرات، كانت الأولى في حياة الرسول (ﷺ)، فكان الرسول يقوم بالإملاء على الكتاب ثم يطلب منهم قراءة ما تم تدوينه وكتابته ليتأكد من صحة النص وكماله، ولكي يصحح ما قد يقع فيه الكتاب من خطأ أو نقص. وكانت عملية الجمع الثانية في عهد الخليفة أبي بكر الصديق . أما عملية الجمع الثالثة فقد كانت في عهد عثمان بن عفان الذي أوكل مهمة الجمع الى أربعة أشخاص من الصحابة، وتمثلت تلك المهمة في التحقق من النص بمنتهى الدقة، فقد شاءت قدرة الله له الحفظ والصون من العبث والتحريف.

التمهيد: معنى القرآن لغة:

لفظ القرآن مصـــدر مشـــتق من (قرأ)؛ يقال: قرأ، يقرأ، قراءة، وقرأنا. ومنه قوله تعالى: ﴿إِنَّ عَلَيْنَا جَمْعَهُۥ وَقُرْءَانَهُۥ ﴿١٧﴾﴾ [القيامة:١٧]، وقيل إن لفظ القرآن مشتق من القرء بمعنى الجمع لأنه جمع.

معنى القرآن اصطلاحا:

هو كلام الله المنزل على نبيه محمد المعجز بلفظه المتعبد بتلاوته المنقول بالتواتر المكتوب في المصاحف من أول سورة الفاتحة إلى آخر سورة الناس. وهو كلام الله المنزل على رسوله محمد (ﷺ) بواسطة جبريل عليه السلام، وعدد سوره ١١٤ سورة، وهو المصدر الأول من مصادر التشريع الإسلامي (مختار، ١٩٩٩: ١٧٩٠).

أثر القرآن الكريم في اللغة العربية:

أنزل الله سبحانه وتعالى القرآن الكريم بلسان عربي، فكان للغة العربية مكانة ومزية تفوق بها كل اللغات .وكما كان تأثير القرآن الكريم جليا في العرب في أخلاقهم وعقيدتهم ومختلف جوانب حياتهم، فقد كان له أثره أيضا في اللغة العربية فحفظها من الإنقراض والضياع كما حدث لبعض اللغات ووحد اللهجات العربية في لهجة فصيحة هي لهجة قريش، وبذلك أصبح للعرب لغة واحدة في تواصلهم وكتاباتهم. كما أكسب القرآن اللغة العربية طاقة تعبيرية غنية بالمفردات الجديدة، وأسهم في تهذيب ألفاظها وبعث فيها الأنس والألفة والرقة والعذوبة، ومنحها متانة وسموا ما كانت لتصل إليه لولا القرآن الكريم، وذلك بما وهبها الله من المعاني الغزيرة والتراكيب الرصينة والأساليب الرفيعة. وعليه فقد صارت بذلك محط جميع الأنظار وغدت أكثر تباهيا وتألقاعلى غيرها من اللغات بما حباها الله من محاسن الجمال.ويمكن إيضاح أثر القرآن الكريم في اللغة العربية من خلال ما يأتي:

١- بقاء اللغة العربية وخلودها:

لقد حافظ القرآن الكريم على اللغة العربية من الضياع والإندثار، فهناك لغات كثيرة قد تلاشت واندثرت مثل اللغة الفينيقية؛ لغة أهل لبنان قديما، واللغة المصرية واللغة الآشورية . وكان للقرآن الكريم أثر كبير في حياة الأمة العربية وفي نفوسهم فهذب طباعهم وطهر عقولهم من رجس الوثنية وألف بين قلوبهم وجمعهم على كلمة واحدة فأقبل المسلمون على هذا الدين الجديد ودافعواعنه بكل عزيمة وأقبلوا على دراسة القرآن وحفظه والدفاع عنه واعتبروا أن النيل منه هو نيل من لغتهم. ولذا فإن خلود اللغة العربية إلى يومنا وإلى ما شاء الله يعود إلى الدفاع عن القرآن، فهو من منطلق كونه لسان الاسلام الناطق ومعجزاتها الباقية هو الذي حفظها من الضياع.

٢- استقرار اللغة العربية وتقويتها:

أكسب القرآن الكريم اللغة العربية قوة وازدهارا على جميع المستويات، سواء ما يتعلق بالألفاظ أو المعاني أو الأساليب. يقول العلامة الرافعي "نزل القرآن الكريم بهذه اللغة على نمط يعجز قليله وكثيره معا فكان أشبه شيء بالنور في جملة نسقه، إذ النور جملة واحدة، وإنما يتجزأ باعتبار لا يخرجه من طبيعته، وهو في كل جزء من أجزائه جملة لايعارض بشيء إلا إذا خلقت سماء غير السماء وبدلت الأرض غير الأرض، ثم هو بما تنازل بها من المعاني الدقيقة التي أبرزها في جلال الإعجاز، وصورها بالحقيقة وأنطقها بالمجاز، وماركبها به من المطاوعة في تقلب الأساليب، وتحويل التركيب إلى التراكيب، قد أظهرها مظهرا لايقضي العجب منه لأنه جلاها على التاريخ كله لاعلى جيل العرب بخاصته (الرافعي، ١٩٧٤: ٣٥٣)ويقول المستشرق (أرنست رينان) أن من أغرب ما وقع في تاريخ البشر، ويصعب حل كنهه وسره توسع وانتشار اللغة العربية إذ كانت مغمورة وغير معروفة فظهرت فجأة في غاية الكمال سلسة وغنية وكاملة .تلك اللغة التي تفوقت على أخواتها بكثرة مفرداتها، ودقة معانيها، وحسن نظام مبانيها (جندي، ٢٠١٩: ٣٤).وبالإضافة إلى منح القرآن الكريم اللغة العربية قوة وسموا فقد أسهم بشكل كبير في استقرارها مع أن ثبات اللغات شيء نسبي، فظلت اللغة العربية محافظة على كل مستوياتها اللغوية والصرفية والتركيبية والدلالية وما تطور منها كان في إطار المعاني. وبناء على ما تقدم يمكن القول أن اللغة العربية ما كان لها أن تصمد طيلة أربعة عشر قرنا من الزمان لولا كتاب الله الذي جعل منها لغة مستقرة بل وخالدة إلى ما شاء الله.

٣- دمج لهجات اللغة العربية وتوحيدها:

إن القارئ لتاريخ اللغة العربية يجد أن اللغة العربية كانت عبارة عن لهجات مختلفة منها ما هو فصيح وأفصح ورديء وغير مستحسن، وكانت كل قبيلة تعتز وتفتخر بلهجتها. ومما لاشك فيه أن لغات العرب متفاوتة في البلاغة والفصاحة. ولذا فإن عثمان بن عفان حين كلف أربعة من الصحابة بجمع القرآن قال لهم: "إذا اختلفتم أنتم فاكتبوه بلغة قريش فإنه إنما نزل بلغتهم" ذلك لأن لغة قريش أسهل اللغات وأعذبها وأوضحها وأبينها، كما كانت تشتمل على أكثر لغات العرب.

٤- تهذيب اللغة العربية:

لقد أبعد القرآن الكريم عن اللغة العربية التقعر في الكلام والألفاظ الوحشية التي يستثقل سماعها. والقارئ لتاريخ الأدب الجاهلي يجد كثيرا من تلك المفردات التي وصفت فيما بعد بالغريب أو وحشي الكلام.

٥- جعل منها لغة تعليمية:

كان العرب في الجاهلية يتكلمون لغتهم وينشدون أشعارهم على السليقة دون حاجة إلى قواعد لضبطها. ومع بزوغ فجر الإسلام وانتشاره واستمرار توسعه في مختلف الأصقاع اعتنق كثير من غيرالعرب الإسلام ودخل الناس في دين الله أفواجا، فاختلط العرب بالعجم ما أدى إلى فساد لغتهم . ومع مرور الأيام تسلل الضعف الى مفردات وتراكيب اللغة وفشا اللحن في قراءة القرآن، الأمر الذي أفزع أبا الأسود الدؤلي وجعله يستجيب لوضع قواعد النحو التي أساس ضبط حركات الحروف والكلمات ومن ثم العمل على ضبط المصاحف بالشكل حفاظا على قراءة القرآن من اللحن والخطأ .

وبناء على ما تقدم يتبين أن ظهور اللحن أسهم بشكل ملحوظ في اقبال كثير من العلماء على وضع قواعد للغة كونها لغة الكتاب المنزل.

المبحث الأول أثر القرآن من الشعر والشعراء

إن من الوهم لدى بعض النقاد أن الشعر في عصر النبوة انخفض مستواه الفني كون القرآن يكره الشعر واستدلوا بما يأتي:

قوله تعالى: ﴿وَٱلشُّعَرَآءُ يَتَّبِعُهُمُ ٱلْغَاوُۥنَ ﴿٢٢٤﴾ أَلَمْ تَرَ أَنَّهُمْ فِى كُلِّ وَادٍ يَهِيمُونَ ﴿٢٢٥﴾ وَأَنَّهُمْ يَقُولُونَ مَا لَا يَفْعَلُونَ ﴿٢٢٦﴾﴾ [الشعراء: ٢٢٤-٢٢٦] وقوله تعالى: ﴿وَمَا عَلَّمْنَٰهُ ٱلشِّعْرَ وَمَا يَنۢبَغِى لَهُۥٓ﴾[يس:٦٩]. فقد أشاروا الى أن القرآن يحط من قدر الشعر بدليل أن من كرم الله لنبيه لم يعلمه الشعر وما ذلك إلا ان الشعر ينقص من قدره ويحط من منزلته. ولكن اذا أمعنا النظر في مدلول الآية القرآنية الأولى ندرك أنها لاتقصد تهجين عامة الشعر، وذم الشعراء أجمعين، فالاستدلال بها على ماذكر هو تعميم خاطئ وتأويل للآية على غير وجهها الصحيح، ذلك لأن أولى الأقوال بالصواب في تأويلها ما ذهب إليه أهل التأويل من المفسرين من أن المراد بالشعراء المذمومين في الآية شعراء المشركين الذين يتبعهم غواة الناس فهم يذهبون في شعرهم على غير قصد ويبتعدون عن الحق وطريق الهداية (الطبري، ٢٠١٣: ٤١) ومما يدل على أن المقصود بالشعراء في الآية شعراء المشركين، خاصة قوله تعالى بعد هذه التعليل: ﴿إِلَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ﴾[الشعراء: ٢٢٧]، وهو استثناء للمؤمنين من الشعراء عامة.

يقول ابن رشيق: "فأما احتجاج من لا يفهم وجه الكلام بقوله تعالى ﴿وَٱلشُّعَرَآءُ يَتَّبِعُهُمُ ٱلْغَاوُۥنَ ﴿٢٢٤﴾ أَلَمْ تَرَ أَنَّهُمْ فِى كُلِّ وَادٍ يَهِيمُونَ ﴿٢٢٥﴾ وَأَنَّهُمْ يَقُولُونَ مَا لَا يَفْعَلُونَ ﴿٢٢٦﴾﴾ [الشعراء: ٢٢٤-٢٢٦] فهو غير صحيح لأن المقصود بهذا النص شعراء المشركين الذين تناولوا رسول الله (ﷺ) بالهجاء ومسوه بالأذى، وأما غيرهم من المؤمنين فغير داخل في شيء من ذلك، ألا تسمع كيف استثناهم الله عزوجل ونبّه عليهم ﴿إِلَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ وَذَكَرُوا۟ ٱللَّهَ كَثِيرًا وَٱنتَصَرُوا۟ مِنۢ بَعْدِ مَا ظُلِمُوا۟﴾ [الشعراء:٢٢٧] يريد شعراء النبيّ ومن سار على منوالهم، فلو أن الشعر حرام أو مكروه ما اتخذ النبي (ﷺ) شعراء يثيبهم على الشعرويأمرهم بعمله ويسمعه منهم" (القيرواني، ١٩٧٤: ٥٢) وبناء على ماتقدم فالآية لايصح الإستدلال بها على كراهية القرآن للشعر، فالقرآن الكريم لم يكره الشعر من حيث هو شعر، وإنما يكره شعرا معينا، ويكره شعراء بعينهم، وهم الذين يؤذون الرسول والمؤمنين. وأما الآية التي تنفي الشعر عن النبي (ﷺ) فليس في نفيه عنه غض لقيمة الشعر أو التقليل من شأنه، بل في نفيه عنه دلالة إعجاب أشد، فقد نفى الله عن نبيه الشعر الذي عرف بين العرب بقوة التأثير وبلاغة الدلالة والقدرة على الفصاحة فلئن كان نثر العرب أقل تأثيرا فقد علمه الله سبحانه وتعالى نبيه كلاما من جنس سائر النثر (جاد، ١٩٧٧: ١٤)، ولكنه أقوى تأثيرا، وأعظم بيانا من الشعر. وأما قوله تعالى: ﴿وَمَا يَنۢبَغِى لَهُۥٓ﴾[يس:٦٩]فالمقصود وماينبغي له أن يبلغ عنا مالم نعليه لأمانته ومشهورصدقه، فقد نزه الله رسوله عن كونه شاعرا، حين نسبت قريش فضيلة الرسول وحجته البالغة إلى تأثير الشعر، لا إلى فضل الرسالة وزعمت أن ما يتلوه ليس وحيا من عند الله بل إلهاما من شيطان الشعر. وبناء على ماتقدم يتبين لنا موقف القرآن والدين الإسلامي من الشعر، فنرى أن الإسلام لم يضعفه كما زعم بعض النقاد وإنما وقف منه موقف الموجه إلى الطريق السوي الذي لايتعارض مع مبادئ الدين ليكون الشعر وسيلة بناء للمجتمع الاسلامي، ودعوة للأخلاق الفاضلة، لاوسيلة تقويض وهدم. ولم يقف الدين من الشعر موقف الجمود وإنما جدد وطور في معاني الشعروموضوعاته وأسلوبه وصياغته . وعليه يمكن القول أن الاسلام لم يضعف بعض الأغراض الشعرية وإنما انتقل بها إلى طور جديد يتناسب مع طبيعته السمحة وآدابه الرفيعة.

أثر القرآن في النقد القديم:

تعريف النقد:

مادة "نقد" لها معان شتى في معاجم اللغة العربية، ومنها:

- تمييز الدراهم، ومعرفة الجيد منها والرديء (ابن منظور، ١٩٩٢: مادة نقد).
- الإعطاء، ورد في مختار الصحاح : نقده الدراهم، ونقد له الدراهم، أعطاه إياها فانتقدها أي قبضها (الرازي، ١٩٩٩: مادة عطا).
- اختلاس النظر نحو الشيء؛ تقول نقد الرجل الشيء بنظره، ينقده نقدا، ونقد إليه؛ بمعنى اختلس النظرة نحوه، ومازال ينقد بصره إلى الشيء إذا لم يزل ينظر إليه. ومن الملاحظ أن المعنى الأول هو الأقرب لمفهوم النقد، وهو التمييز بين الجيد والرديء من الدراهم ومعرفة الزائف والصحيح منها، وكما يكون التمييز بين الجيد والرديء في الأمور الحسية يكون أيضا في الأمور المعنوية ومنها النصوص الأدبية.وقد عرف النقد في أدق معانيه بأنه: "فن دراسة النصوص الأدبية لمعرفة اتجاهها الأدبي وتحديد مكانتها في مسيرة الآداب والتعرف على مواطن الحسن والقبح مع التفسير والتعليل.

النقد في العصر الجاهلي:

تزامنت نشأة النقد الأدبي مع نشأة الشعر، وهذا من الطبيعي، فالشاعر ناقد بطبعه يفكر ويقدر ويختار. ولذا كان أكثر فهما للصنعة الشعرية وعلى تلمس وإدراك مواضع وأسرار الحسن أو القبح (جاد، ١٩٧٧: ١٨)، ولذا يتعذر الحكم على الصورة الأولى التي نشأ عليها النقد الأدبي كونه له ارتباط وثيق بالشعرفي نشأته، وبالإمكان الاستناد على ماقرره علماء الأدب أن اول من وطأ متون الشعر: امرؤالقيس بن حجرومهلهل بن ربيعة. يقول الجاحظ: "أما الشعر فحديث الميلاد صغير السن، أول من نهج سبيله وسهل الطريق إليه امرؤالقيس بن حجر ومهلهل بن ربيعة ...فإذا استظهرنا الشعر وجدنا له إلى أن جاء الله بالإسلام خمسين ومائة عام" (الجاحظ، ٢٠٠٣: ٧٤).ويقول ابن سلام : وكان أول من قصد القصائد وذكر الوقائع المهلهل بن ربيعة التغلبي في قتل أخيه كليب وكان اسمه المهلهل عديا وسمي بالمهلهل لهلهلته شعره كهلهلة الثوب وهو اضطرابه واختلافه (الجمحي، ١٩٧٩: ٦) وعندما ازدهر الشعر واكتملت له صورته الفنية اعجب به العرب وفتنوا به فقاموا بروايته وتذوقوه وتغنوا به واعلنوا استحسانهم لما استجادوا واستهجانهم لما استقبحوا في عبارات موجزة وأحكام سريعة إن كانت صحيحة عادلة فكما تمليها الفطرة السليمة لاكما يمليها التعمق في البحث والدراسة والمنطق الذي يعتمد على التحليل والتعليل (طبانة، ١٩٦٩: ٦٩). وعليه يمكن القول أن النقد الأدبي وجد في العصر الجاهلي ولكن على شكل ملاحظات يسيره متناسبا مع روح العصرومالائما للشعر العربي نفسه فكلاهما يستند على الانفعال والتأثر، فالشاعر منفعل بماحوله من الأشياء والحوادث والناقد منفعل بواقع الكلام في نفسه وكل نقد في نشاته لابد أن يكون قائما على الانفعال فإذا حكم على الأدب حكم عليه وفقا لتأثره به وبمقدار ذلك التأثر هويحكم على الأدب ببلاغة الأدب ويحكم عليه بالنظرة العجلى والأثر السريع (إبراهيم، ١٩٧٩: ٤٥).

ومن الملاحظ أن صور النقد في العصر الجاهلي كثيرة ولكنها ترجع في مجموعها الى نمطين هما:

- النقد الذاتي التأثري.
- النقد الذي مبعثه الرؤية والأناة.

ويقصد بالنقد الذاتي التأثري النقد الذي يكون مبعثه الاحساس القائم على الذوق الفطري فهذا النقد مستند على الاحساس بأثر الشعر في النفس وعلى مقدار وقع الكلام عند النقد فالحكم له ارتباط وثيق بهذا الاحساس قوة وضعفا والعربي بفطرته وسليقته يحس أثر الشعرويتذوقه جبلة وطبعا وعمادة في الحكم على ذوقه وعلى تلك السليقة فهما اللذان يهديانه الى فنون القول والى المبرز من الشعراء.ومن الملاحظ ان هذا النقد الذاتي التأثري هو من جعلهم يرجعون في كل مايتصل بأدبهم الى السليقة ويصدرون عنها في أحكامهم التي تدورحول مااستخدموا من انماط أدبية وتذوق الجمال في الأدب مرده عندهم الى الطبع الذي نشأوا عليه ولهذا جاء نقدهم مطابقا كفطرتهم وبيئتهم وصادرا عن أذواقهم وتأثرهم بالجمال حسبما ركبت فيهم من طباع ومادرجوا عليه من تمييز بين الغث والثمين من فنون القول. ومن خلال النصوص النقدية التي وردت في العصرالجاهلي يتبين ان النقد الذاتي التأثري يأخذ عدة اتجاهات وهي النقد اللغوي والنقد المعنوي والنقد العروضي وتقديم الشعراء (عبدالرحمن، ١٩٩٨: ٦٨).

النقد اللغوي:

وهو النقد الذي يقوم على نقد الخطأ في الإستعمال اللغوي. ولقد كان العربي على صلة وثيقة بخفايا وأسرار لغته، يدرك بفطرته الدلالة الوضعية للكلمات، فإذا ابتعد الشاعر أو لم يوفق في تلك الدلالة واستعمل الكلمة في غير موضعها دون أن يدرك أو يلمح علاقة بين المعنى الأصلي للكلمة والمراد الذي نقلها اليه أحس بذلك احساسا مباشرا وعبر عن ذلك الشعور والإحساس بما تجود به قريحته.

ومن الأمثلة التطبيقية على ذلك ما روي عن أبي عبيدة قال: مر المسيب بن علس بمجلس بني قيس بن ثعلبة فأنشدهم:

أَلا اِنعِم صَباحاً أَيُّها الرَبعُ وَاِسلَمِ نُحَيّيكَ عَن شَحطٍ وَإِن لَم تَكَلَّمِ

(إبراهيم، ١٩٧٩: ٣٨)

الى أن وصل الى قوله:

وَقَد أَتَناسى الهَمَّ عِندَ اِحتِضارِهِ .بِناجٍ عَلَيهِ الصَيعَرِيَّةُ مُكدَمِ

(إبراهيم، ١٩٧٩: ٣٨)

فقال طرفة: استنوق الجمل. لقد كان استعمال المسيب لها خطأ في وصف الجمل فأنكر عليه طرفه عن طريق حكم نقدي ساخر بقوله: استنوق الجمل، مستندا على حسه اللغوي في تخطئة الشاعرالذي يوفق في استعمال اللفظ .لقد ادرك طرفة بفطرته وحسه اللغوي أن كلمة (الصيعرية) وضعت للدلالة على تلك السمة في عنق الناقة فلما ابتعد بها الشاعرعن أصل وضعها من غير سبب معقول أدرك ذلك بفطرته ونبه الشاعر على خطأه.

المبحث الثاني تأثر النقد بالقرآن

من المعلوم أن مظاهروصور الفحش قد بدأت في العصر الجاهلي فتعالت أصوات الشعراء الجاهليين بالفحش والعهرعلى نحو ما عرف عن امرئ القيس والأعشى فمن فحش امرئ القيس قوله:

فَمِثْلِكِ حُبْلَى قَدْ طَرَقْتُ وَمُرْضِعٍ فَأَلْهَيْتُهَا عَنْ ذِي تَمَائِمَ مُحْوِلِ

(ديوان امرئ القيس، ١٩٩٠: ١٢)

وقوله:

فَجِئْتُ وَقَدْ نَضَّتْ لنَومٍ ثيابَها لَدَى السِّتْرِ إلّا لِبْسَةَ الْمُتَفَضِّلِ.

(ديوان امرئ القيس، ١٩٩٠: ١٤)

ومن فحش الأعشى قوله:

فَظَلِلتُ أَرعاها وَظَلَّ يَحوطُها حَتّى دَنَوتُ إِذا الظَلامُ دَنا لَها

(الزمخشري، ٢٠١٥: ٨١)

وقوله:

فَقَدْ أُخْرِجُ الكَاعِبَ الْمُسْتَرَا ةَ مِنْ خِدْرِهَا وَأُشِيعَ الْقِمَارَ

(خواجه، ٢٠٠٧: ٣٦٥)

وعندما أنزل الله كتابه على نبيه مُحَمَّد (ﷺ) وشع نور الإسلام كان لهذا القرآن أثره في نفوس الصحابة فسمت أخلاقهم وابتعدوا عن الفحش والعهر سواء في القول أو العمل. ومن هذا المنطلق وتمسكا بتعاليم هذا الكتاب فقد أطلق الرسول (ﷺ) وبعض أصحابه ملاحظات نقدية تنم على الإهتمام بالجانب الديني والخلقي في الشعر، ففي الأخبار"أن قوما أتوا رسول الله (ﷺ) فسألوه عن أشعر الناس، فقال : ائتوا ابن الفريعة يعني حسان فأتوه فقال : ذو القروح يعني أمرأ القيس فرجعوا فأخبروا رسول الله (ﷺ) فقال: "صدق رفيع في الدنيا، خامل في الآخرة، شريف في الدنيا، وضيع في الآخرة، هو قائد الشعراء إلى النار". فالموقف الإيماني الأخلاقي للشاعر هو المنشود قبل كل شيء عند رسول الله (ﷺ) والميزان النقدي الذي يزن به شعر الشعراء هو ميزان الأخلاق والفضيلة كما جاءت في كتاب الله. وكان الرسول (ﷺ) يستنهض فضيلة الصدق في الشعر، ذلك أن القرآن لعن بشكل صريح الكاذبين، فقد روي عن أبي هريرة ﷺ أن النبي (ﷺ) قال: "أصدق كلمة قالها الشاعر كلمة لبيد:

أَلا كُلُّ شَيءٍ ما خَلا اللهَ باطِلُ .وَكُلُّ نَعيمٍ لا مَحالَةَ زائِلُ

(ديوان لبيد بن ربيعة، ١٩٧٩: ١٠١)

ومن هذا القبيل أن النابغة الجعدي قال: "أنشدت النبي (ﷺ):

بَلَغْنَا السَّمَاءَ مَجْدُنَا وَثَرَانَا وَإِنَّا لَنَرْجُو فَوْقَ ذَلِكَ مَظْهَرَا

(العينتابي، ٢٠١٣: ٢٠٨)

فغضب وقال: أين المظهر يا أبا ليلى؟ فقلت: الجنة يارسول الله، قال: أجل ان شاء الله، وتبسم .

فالرسول الكريم ينكر على النابغة غلوه الزائد في قوله: *بلغنا السماء مجدنا وجدودنا* ويستنهض فيه فضيلة الصدق . وقد استند الرسول الكريم في إصداره تلك الملاحظات النقدية الى معيار الصدق والمعاني الحكيمة والأخلاق الفاضلة التي استقاها من القرآن الكريم، فكما قالت السيدة عائشة رضي الله عنها " كان خلقه القرآن".

ولا يختلف موقف عمر بن الخطاب ﷺ عن موقف الرسول الكريم، فقد بنى على أساس الصدق كثير من الأحكام النقدية على الشعر والشعراء، كما كانت نظرته النقدية لمضمون الأدب مستمدة من تعاليم كتاب الله . ولذا فقد قاس المضمون الأدبي بمقاييس دينية خلقية يحمد منها ما وافق جوهر الاسلام ومبادئه ويذم منها ماخرج عن هذه المبادئ. ويتضح هذا المعيار الديني الخلقي في تقدير عمر بن الخطاب لشعر سحيم عبد بني الحسحاس فقد أنشد عمر قوله:

عُمَيرةَ وَدِّع إن تَجَهَّزتَ غَادِيا كَفَى الشَيبُ والإسلامُ لِلمَرءِ ناهيًا

(السيوطي، ٢٠١٦: ٢٩)

فقال عمر: لوكنت قدمت الاسلام على الشيب لأجزتك (الكامل: ٣٦٦).

فلما أنشده:

بَاتَ وسادانا إِلَيّ علجانة وحقف تهاداه الرّيَاح تهاديا
وهبَّتْ شمالٌ آخرَ اللَّيل قَرَّةٌ ولا ثوبَ إلاَّ درعُها ورِدائِيا
فما زالَ بُردي طَيِّباً من ثِيابها إلى الحَول حتَّى أنهَجَ البُردُ بالِيا

(قميحة، ١٩٨٥: ١٧٢)

فقال له عمر: ويلك إنك مقتول.وعمر في تعليقه على مطلع القصيدة راضي كل الرضا على المنهج الشعري وتمنى منه تقديم الاسلام على الشيب ليعطيه العطاء الجزيل. وفي تعليقه على الأبيات راضي كل الرضاعلى السهولة والجمال الذي يلوح في ورقة الشعر وعذوبته. ولهذا كان تعليقه على السحر الحلال "ويلك" وهي كلمة على ما تتضمن من إشفاق وزجر تتضمن أيضا قبولا لهذا المنهج السمح الذي وجده في شاعر مسلم. أما أبوبكر الصديق فقد أثر عنه بعض الملاحظات النقدية، منها مايتصل بنقد المعنى وتوجيهه إلى النظرة الإسلامية.

ومنها أن لبيدا الشاعر عندما أنشد:

أَلا كُلُّ شَيءٍ ما خَلا اللهَ باطِلُ

قال أبوبكر الصديق: صدقت، فلما قال: *وكل نعيم لامحالة زائل*، قال: كذبت، عندالله نعيم لايزول (المرزباني، ٢٠٠١: ١).

ومنها مايتعلق بالحكم على الشعراء فقد روي أنه كان يحكم للنابغة بين شعراء عصره بقوله "هو أحسنهم شعرا وأعذبهم بحرا وأبعدهم قعرا".

وعليه يمكن القول أن من أبرز المقاييس النقدية في عصر صدر الاسلام هو الإلتزام بمبادئ الدين والخلق، فقد وجه الدين الجديد الشعراء والأدباء إلى ضرورة الإلتزام بالأفكار والإتجاهات التي تنسحم مع روح الإسلام الدينية والأخلاقية والدين والأخلاق وصلاح المجتمع وتحصيل أسباب السعادة في الدنيا والآخرة. إلا أن النقد العربي في العصور التي تلي عصرصدر الإسلام لم تتأثر بكل ذلك فأبعد أكثر النقاد الدين والأخلاق عن الشعروقالوا الدين بمعزل عن الشعر والمعاني كلها معروضة للشاعرأكانت فاضلة أم غير فاضلة، فاحشة أم غير فاحشة، وكل ذلك لغلبة المفهوم البلاغي على النقد العربي. ولعل أول ناقد عربي نادى بتنحي الدين عن الشعر هو الأصمعي وذلك حين يقول"الشعر نكد بابه الشر وهذا حسان فحل من فحول الجاهلية فلما جاء الاسلام سقط شعره" (الأصمعي، ١٩٨٠: ٧٦).فالأصمعي يرى أن إدخال الشعرفي باب الخير مدعاة لضعفه وسقوطه، ويمثل على ذلك بشعر حسان بن ثابت فيقول إنه اشتد وقوي في الجاهلية ولما أسلم ودخل شعره في باب الخيرضعف ولان ورأى أن طريق الشعر الصحيح هو طريق الفحول الأوائل كامرئ القيس والأعشى حيث الوقوف على الأطلال والهجاء المقذع والمديح الذي يصدر غالبا عن مشاعر كاذبة والتغزل بالنساء والتعهرفي وصفهن. أما قدامة بن جعفر فقد جنب الشعر سلطان الدين والأخلاق عندما أتاح للشاعر حرية القول فيما يروم من معان طيبة أو خبيثة إذ قال: "ومايجب توطيده وتقديمه أن المعاني كلها معرضة للشاعروله أن يتكلم منها فيما أحب وآثر من غير أن يحظر عليه معنى يروم الكلام فيه إذ كانت المعاني للشاعربمنزلة المادة الموضوعة والشعر فيها كالصورة كما يوجد في كل صناعة من أنه لابد فيها من كل شيء موضوع يقبل تأثير الصور منها مثل الخشب للنجارة والفضة للصياغة وعلى الشاعر إذا شرع في أي معنى كان من الرفعة والضعة والرفث والنزاهة والبذخ والقناعة والمدح وغير ذلك من المعاني الحميدة أو الذميمة أن يتوخى البلوغ

من التجويد في ذلك الى الغاية المطلوبة" (ابن قدامة، ١٩٣٤: ٤). ولما كان الأمر كذلك عند قدامة وكانت نظرته للشعرتقف عند حدود الجودة الفنية، كان من الطبيعي أن يتقبل أي معنى فاحش إذا بلغ الشعر المرتبة السابقة وهو حقا ماحدث فقد استحسن أبيات الفحش التي قالها امرؤالقيس. يقول قدامة: " فإني رأيت من يعيب أمرأ القيس في قوله:

فَمِثْلُكِ حُبْلَىٰ قَد طَرَقتُ وَمُرضِعًا فَأَلهَيْتُها عَن ذِي تَمَائِمَ مُغيَلِ

إِذَا مَا بَكَىٰ مِنْ خَلْفِهَا انحَرَفَتْ لَهُ بِشِقٍّ وَشِقٌّ عِنْدَنَا لَمْ يُحَوَّلِ

(ديوان امرئ القيس، ١٩٩٠: ١٢)

ويذكر أن هذا معنى فاحش وليست فحاشة المعنى نفسه مما يزيل جودة الشعر فيه، كما لايعيب جودة النجارة في الخشب مثلا ردائته في ذاته (ابن قدامة، ١٩٣٤: ٢٩).وبناء على ماتقدم يمكن القول ان قدامة بن جعفر قد سيطر عليه الفكر البلاغي فهو لاينظر الا الى فنية القول وظاهره ولاينظر الى سواها من معاني او غايات ولايهتم أكان الكلام يوافق الدين والأخلاق أم لا. وكان الأولى به تعزيز الجانب الأخلاقي وتوجيه الشعر العربي نحو المثل الفاضلة لا أن يسوغ للشاعر مفاسد معانيه وفحشها. ولايختلف الآمدي عن قدامة بن جعفر إذ لم يجعل من القرآن ومبادئ الاسلام والتزاماتها مقياسا من مقاييس جودة الشعر في معانيه فهو يثني على بعض الأبيات بل ويستحسنها، يقول: " وأحسن ماقيل في المضاجعة قول امرئ القيس:

تَقُولُ وَقَدْ جَرَّدْتُهَا مِنْ ثِيَابِهَا كَمَا رُعْتَ مَكحولَ الْمَدَامِعِ أَثْلَعَا

وَجَدِّكَ لَوْ شَيْءٌ أَتَانَا رَسُولُهُ سِوَاكَ، وَلَكِنْ لَمْ نَجِدْ لَكَ مَدْفَعَا

فَبِتْنَا تَصُدُّ الْوَحْشُ عَنَّا كَأَنَّنَا قَتِيلَانِ لَمْ يَعْلَمْ لَنَا النَّاسُ مَصْرَعَا

تَجَافَى عَنِ الْمَأْثُورِ بَيْنِي وَبَيْنَهَا وَتُدْنِي عَلَيَّ السَّابِرِيَّ الْمُضَلَّعَا

(ديوان امرئ القيس، ١٩٩٠: ٢٤١-٢٤٢)

وهذا لاشئ أجود منه ولا أبرع وقد أخبر بالأمر على ماكان (الآمدي، ١٩٩٤: ١٠٤). فالآمدي لايثني على هذا المعنى وحسب، بل يعده أحسن ماقيل في المضاجعة . لقد كانت نظرة الآمدي الى الشعر مجردة من أي مظهر ديني متأثرا بمن قبله من النقاد.اما القاضي الجرجاني فقد أعلن صراحة أن الدين بمعزل عن الشعر، يقول: "لوكانت الديانة عارا على الشعروكان سوء الاعتقاد سببا لتأخر الشاعرلوجب أن يمحى اسم أبي نواس من الدواوين ... والدين بمعزل عن الشعر" (الجرجاني، ٢٠١٨: ١٨).

الخاتمة:

بناء على ماتقدم يمكننا القول أن النقد العربي في صدر الاسلام ظهرت عليه بعض ملامح التأثيرات القرآنية والدينية، بيد أنه في العصرين التالية للعصر الإسلامي كان عصيا على التأثر أو التغيير. وربما كانت علة ذلك الشعر الجاهلي فقد كان مصدر تشريع النقاد العرب. ولم يكن الاسلام كذلك أي لم يغير أكثر النقاد العرب مصدر تشريعهم بعد نزول القرآن الكريم فيتحولوا عن قوانين الجاهلية الى قوانين الاسلام بل ظلوا ينظرون الى الشعر الجاهلي حتى قرون متأخرة على أنه القدوة المثلى؛ ولذا لم يخرج الشعر الإسلامي عن الطابع الجاهلي العام إلا في بعض الأغراض والخصائص.

المصادر والمراجع:

القران الكريم.

- ابراهيم، طه، تاريخ النقد الأدبي، مطبعة لجنة التأليف، القاهرة (١٩٧٩).
- ابراهيم، عبدالرحمن، في النقد الأدبي القديم عند العرب، كلية الدراسات العربية، القاهرة (١٩٩٨).
- ابن منظور، لسان العرب، دار صادر، بيروت(١٩٩٢).
- الأصمعي، أبوسعيد عبدالملك بن قريب، فحولة الشعراء، دارالكتاب الجديد، بيروت (١٩٨٠).
- الآمدي، أبو القاسم الحسن، الموازنة بين الطائيين، مكتبة الخانجي، القاهرة (١٩٩٤).
- امرؤ القيس، ديوان امرئ القيس، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، دار المعارف، القاهرة، ط٥، (١٩٩٠).
- بن ربيعة، لبيد، ديوان لبيد بن ربيعة، دار الأرقم بن أبي الأرقم – بيروت، لبنان (١٩٩٧).
- الجاحظ، عمروبن بحر، الحيوان، دار الكتب العلمية، بيروت (٢٠٠٣).

- جاد، حسن، دراسات في النقد الأدبي، مكتبة القاهرة، مصر (١٩٧٧).
- الجرجاني، أبوالحسن علي، الوساطة بين المتنبي وخصومه، مطبعة عيسى الحلبي (٢٠١٨).
- الجمحي، ابن سلام، طبقات فحول الشعراء، مطبعة المدني، القاهرة (١٩٧٩).
- الجندي، أنور، اللغة العربية بين حماتها وخصومها، مطبعة الرسالة (٢٠١٩).
- خواجا، زهدي صبري، الجانب الخلفي في الشعر الجاهلي، دار الناصر (٢٠٠٧).
- الرازي، زين الدين، مختار الصحاح، المكتبة العصرية، بيروت (١٩٩٩).
- الرافعي، تاريخ آداب العرب، دارالكتاب العربي، بيروت (١٩٧٤).
- الزمخشري، أبي القاسم، الكشاف، دار الكتب العلمية (٢٠١٥).
- السيوطي، جلال الدين، جمع الجوامع، دار الكتب العلمية (٢٠١٦).
- طبانة، بدوي، دراسات في نقد الأدب العربي، دار الثقافة للطباعة والنشر (١٩٦٩).
- الطبري، أبوجعفرمحمد، جامع البيان عن تأويل القرآن، دار التربية والتراث، مكة المكرمة (٢٠١٣).
- طه، هند حسين، النظرية النقدية عند العرب حتى نهاية القرن الرابع الهجري، وزارة الثقافة والإعلام، دار الرشيد (١٩٨١).
- العينتابي، محمود بن احمد، المقاصد النحوية في شرح شواهد شروح الألفية، دار الكتب العلمية (٢٠١٣).
- ابن جعفر، قدامة، نقد الشعر، مطبعة الجوانب، قسطنطينية (١٩٣٤).
- قميحة، جابر، أدب الخلفاء الراشدين، دار الكتب الإسلامية (١٩٨٥).
- القيرواني، ابن رشيق، العمدة في صناعة الشعرونقده، مكتبةالجيل، بيروت (١٩٧٤).
- المبرد، محمدبن يزيد، الكامل في اللغة والأدب، دار الفكر العربي، القاهرة (١٩٩٧).
- مختار، أحمد، معجم اللغة العربية المعاصرة، عالم الكتب، بيروت (٢٠٠٨).
- المرزباني، أبو عبيدالله بن محمد، الموشح في مآخذ العلماء على الشعراء، دار الكتب العلمية، بيروت (٢٠٠١).
- نصر، محمد ابراهيم، النقد الأدبي في العصر الجاهلي، دار اللواء، الرياض (١٩٧٧).

- Al-Amidi, Abu Al-Qasim Al-Hassan, The Balance between the Taiyin, Al-Khanji Library, Cairo. (1994).
- Al-Asma'i, Abu Saeed Abdul-Malik bin Qarib, Fahula Al-Shuara'a, Dar Al-Kitab Al-Jadeed, Beirut (1980).
- Al-Ayntabi, Mahmoud bin Ahmed, The Grammatical Objectives in Explanation of the Evidence of the Millennium Commentaries, Dar Al-Kutub Al-Ilmiyyah, (2013).
- Al-Jahiz, Amrobin Bahr, Animal, Dar Al-Kutub Al-Ilmiyyah, Beirut (2003).
- Al-Jumahi, Ibn Salam, Tabaqat Fahl al-Shu'ara', Al-Madani Press, Cairo , (1979).
- Al-Jundi, Anwar, The Arabic Language between its Protectors and Its Opponents, Al-Resala Press, (2019).
- Al-Jurjani, Abu Al-Hassan Ali, Mediation between Al-Mutanabbi and his opponents, Issa Al-Halabi Press, (2018).
- Al-Marzbani, Abu Ubaidullah bin Muhammad, Al-Muwashah fi Takes of Scholars on Poets, Dar Al-Kutub Al-Ilmiyyah, Beirut, (2001).
- Al-Mubarrad, Muhammad bin Yazid, Al-Kamil in Language and Literature, Dar Al-Fikr Al-Arabi, Cairo, (1997)
- Al-Qayrawani, Ibn Rashiq, Al-Umda fi Sana'at Al-Sha'aruna and his Criticism, Al-Jeel Library, Beirut, (1974).
- Al-Rafi'i, History of Arab Literature, Dar Al-Kitab Al-Arabi, Beirut, (1974).
- Al-Razi, Zain al-Din, Mukhtar al-Sahah, Modern Library, Beirut, (1999).
- Al-Suyuti, Jalal al-Din, Collection of Mosques, Dar al-Kutub al-Ilmiyyah, (2016).
- Al-Tabari, Abu Jaafar Muhammad, Jami' Al-Bayan on the Interpretation of the Qur'an, Dar Al-Darbah and Heritage, Mecca, (2013).
- Al-Zamakhshari, Abi Al-Qasim, Al-Kashaf, Dar Al-Kutub Al-Ilmiyya, (2015).
- Bin Jaafar, Qudama, Criticism of Poetry, Al-Aswan Press, Constantinople, (1934) .

- Bin Rabia, Labid, Diwan Labid bin Rabia, Dar Al-Arqam bin Abi Al-Arqam - Beirut, Lebanon (1997).
- Gad, Hassan, Studies in Literary Criticism, Cairo Library, Egypt, (1977).
- Ibn Manzur, Lisan al-Arab, Dar Sader, Beirut (1992).
- Ibrahim, Abdul Rahman, in ancient literary criticism among the Arabs, College of Arab Studies, Cairo. (1998).
- Ibrahim, Taha, History of Literary Criticism, Authorship Committee Press, Cairo (1979)
- Imru' al-Qais, Diwan Imru' al-Qais, edited by: Muhammad Abu al-Fadl Ibrahim, Dar al-Ma'arif, Cairo, 5th edition, (1990).
- Khawaja, Zuhdi Sabri, The Back Side in Pre-Islamic Poetry, Dar Al-Nasser, (2007).
- Mukhtar, Ahmed, Dictionary of the Contemporary Arabic Language, World of Books, Beirut, (2008).
- Nasr, Muhammad Ibrahim, Literary Criticism in the Pre-Islamic Era, Dar Al-Liwaa, Riyadh (1977).
- Qamiha, Jabir, Literature of the Rightly Guided Caliphs, Dar Al-Kutub Al-Islamiyya, (1985).
- Tabana, Badawi, Studies in Criticism of Arabic Literature, Dar Al-Thaqafa for Printing and Publishing, (1969).
- Taha, Hind Hussein, Critical Theory among the Arabs until the End of the Fourth Century AH, Ministry of Culture and Information, Dar Al-Rashid, (1981).

□